قال رحمه الله تعالى :

[فصلٌ (يشتمل على غزوة أحد مختصرة) ؛ وهي وقعة امتحن الله فيها عباده المؤمنين واختبرهم ، وميز فيها بين المؤمنين والمنافقين ، وذلك أن قريشاً حين قتل الله سراتهم ببدر ، وأصيبوا بمصيبة لم تكن لهم في حساب ، ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب لعدم وجود أكابرهم ، وجاء –كما ذكرنا– إلى أطراف المدينة في غزوة السويق ولم ينل ما في نفسه شرع يجمع قريشاً ويؤلب على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين ، فجمَّع قريباً من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش ، وجاءوا بنسائهم لئلا يفروا ، ثم أقبل بهم نحو المدينة ، فنزل قريباً من جبل أحد بمكان يقال له : عينين ، وذلك في شوال من السنة الثالثة] .

****

في هذا الفصل ساق الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى خلاصةً عن غزوة أحد وهي في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وهي معركة عظيمة كانت إلى جوار المدينة بلد رسول الله ﷺ ، في ناحيتها الشمالية إلى جهة جبل أحد وهو الجبل المعروف الذي قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام : ((أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ)) ، واشتهرت هذه المعركة بين المسلمين والكفار بغزوة أحد لكونها وقعت إلى جوار هذا الجبل المعروف .

والمؤلف رحمه الله تعالى ساق هنا خلاصةً نافعة تتعلق بهذه الغزوة التي أعز الله ﷻ فيها المؤمنين وأيَّدهم ﷻ بتأييده وميَّز فيها المؤمنين من أهل النفاق ، لأنه بعد أن صار للمسلمين شوكة وقوة وهيبة على إثر غزوة بدر التي وقعت في رمضان في السنة الثانية للهجرة بدأت تظهر ظاهرة النفاق ، وأصبح بعض الذين في المدينة ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم أعلنوا

الإيمان ظاهراً مع إخفاء ما يبطنونه من الكفر بالله ﷻ وبرسوله ﷺ ، فجاءت معركة أحد في السنة الثالثة ممحِّصة ومميزة لصف المؤمنين ومبيِّنة لحال من كان يُظهر الإيمان ولكنه في الباطن لا يبطنه ولا يبطن نصرة الدين ، ولهذا سيأتي أنَّ عبد الله ابن أُبي رأس المنافقين انخزل عن الجيش لما تحركوا إلى جهة جبل أحد ورجع بعدد كبير ممن معه ناكصين عن نصرة النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

قال الإمام بن كثير رحمه الله تعالى في مقدمة حديثه عن هذه الغزوة : ((**وهي وقعة امتحن الله فيها عباده المؤمنين واختبرهم ، وميَّز بها بين المؤمنين والمنافقين**)) .

قال : ((**وذلك أن قريشاً حين قُتل سراتهم ببدر**)) ؛ « سَرات » بفتح السين : أي خيارهم وكبراءهم وأشرافهم ومقدَّموهم .

((**وأصيبوا بمصيبة لم تكن لهم في حساب**)) ؛ أي أن المصاب الذي أصابهم في غزوة بدر مصاب كبير ولم يكن لهم في حساب ، بل كانوا يتصورون كما كان يتصور زعيمهم أبو جهل الذي قُتل في تلك الغزوة أنهم سيأتون إلى بدر ويقيمون فيها ثلاثة أيام يشربون الخمر وتُضرب على رؤوسهم المعازف ثم يرجعون إلى مكة وتهابهم العرب ، لكنهم هُزموا في تلك المعركة شر هزيمة وقُتل كبراءهم وسَراتهم ومقدَّموهم ، ولهذا رأَس أبو سفيان قريشاً وصار هو القائد والزعيم .

قال : ((**ورأَس فيهم أبو سفيان ابن حرب**)) ؛ وهو صخر ابن حرب القرشي ، رأس المشركين يوم أحد ويوم الخندق ، ومنَّ الله ﷻ عليه بالهداية فأسلم يوم فتح مكة .

قال : ((**لعدم أكابرهم**)) يعني سبب أن أصبح أبو سفيان رأساً وقائداً وزعيماً أنَّ أكابرهم هلكوا في غزوة بدر الكبرى .

قال : ((**وجاء كما ذكرنا إلى أطراف المدينة إلى غزوة السويق ولم ينل ما في نفسه**)) ؛ جاء بمئتي فارس من قريش أراد أن ينتقم ، وجاء إلى أطراف المدينة من جهة نجد من جهة الشرق ونزل في العُريض الوادي المعروف عند سلاَّم ابن مِشكم وآواه تلك الليلة وأطعمه وبطَن له من خبر الناس ، ثم لما أصبح قطع أشجار النخيل في المدينة في تلك الجهة ووجد رجلاً من الأنصار قتله مع حليف له ثم كرّ فاراً إلى مكة ، لكن ذلك لم ينل به بغيته ، بل إن الذي حصل أنه نَذِر به الناس ولحق به النبي ﷺ والصحابة ففرَّ هارباً وأخذوا يلقون أزودتهم

وكان جلُّها السويق فعُرفت تلك الغزوة بغزوة السويق ، فلم ينل ما في نفسه في هذا المجيء فأخذ يجمع ويجنِّد الجنود لغزو المسلمين في المدينة .

قال : ((**شرع يجمع قريشاً ويؤلِّب على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين**)) ؛ أي يحرِّض الكفار على مقاتلة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه والمسلمين .

((**فجمّع قريباً من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش**)) ؛ الحلفاء : جمع حليف وهو المحالف على النصرة . فجمَّع من قريش ، وأيضاً جمّع ممن حالفوهم على النصرة ، وكذلك الأحابيش . قال ابن إسحاق في سيرته : " الأحابيش : هم بنو الحارث ابن عبد مناة ابن كنانة ، والهُون ابن خزيمة ابن مدركة ، وبنو المصطلق من خزاعة " . قال ابن هشام في التعليق على كلامه هذا : " تحالفوا جميعاً فسموا الأحابيش ، وكان تحالفهم في وادٍ يقال له الأحبش بأسفل مكة فنُسبوا إليه " .

قال ابن كثير رحمه الله : ((**وجاءوا بنسائهم لئلا يفروا**)) ؛ مهمة النساء في هذا المجيء تحريض الرجال على القتال ، وأيضاً إذا علم الرجال أن نساءهم معهم وأنهم إن هُزموا فنساءهم على خطر فإن هذا مما يزيد في إقدامهم وعدم إحجامهم .

((**ثم أقبل بهم نحو المدينة ، فنزل قريباً من جبل أحد بمكان يقال له : عينين**)) ؛ وهذا الاسم « عينين » هو اسم الجبل الذي يقع عن جبل أحد من جهة الجنوب ، وعُرف هذا الجبل فيما بعد بجبل الرُماة ، وهو الذي أمر النبي ﷺ جماعة من المسلمين أن يكونوا عليه يحرسوا المسلمين من جهة الخلف .

قال : ((**وذلك في شوال من السنة الثالثة**)) أي للهجرة .

قال رحمه الله :

[**واستشار رسول الله ﷺ أصحابه : أيخرج إليهم أم يمكث في المدينة ؟ فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر إلى الإشارة بالخروج إليهم ، وألحُّوا عليه ﷺ في ذلك ، وأشار عبد الله بن أبيّ بن سلول بالمقام بالمدينة ، وتابعه على ذلك بعض الصحابة ، فألحَّ أولئك على رسول الله ﷺ فنهض ودخل بيته ولبس لأمته وخرج عليهم ، وقد انثنى عزم بعض أولئك فقالوا : يا رسول الله إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل**

. فقال : ((ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل)) ، وأتي عليه الصلاة والسلام برجل من بني النجار فصلى عليه وذلك يوم الجمعة ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم].

****

ثم ذكر الإمام بن كثير رحمه الله تعالى أن النبي عليه الصلاة والسلام لما علِم بمجيء الكفار استشار المسلمين عملاً بقول الله ﷻ : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٩] . فأخذ عليه الصلاة والسلام يشاور الصحابة بين خيارين :

الأول : البقاء في المدينة متحصِّنين فيها إلى أن يدخل عليهم الأعداء في المدينة فيُلاقونهم .

الثاني : أن يخرجوا خارج المدينة إلى حيث المكان الذي وصل إليه الأعداء لمنازلة المسلمين .

فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ﷺ وخاصة ممن فاتهم المشاركة في غزوة بدر ، فأشاروا على النبي ﷺ بالخروج إليهم وألحُّوا عليه في ذلك ، وأما عبد الله ابن أُبي ابن سلول فإنه أشار على النبي عليه الصلاة والسلام بالمقام وعدم الخروج لمنازلة هؤلاء وتابعه على ذلك بعض الصحابة .

قال : ((**فألحَّ أولئك** – يعني الفضلاء من الصحابة ولاسيما من فاتهم المشاركة في غزوة بدر – **على النبي ﷺ ، فنهض ودخل بيته**)) ؛ يعني بعد هذه المشاورة دخل عليه الصلاة والسلام بيته .

((**ولبس لأمته**)) ؛ اللأمة : هي الدرع ، آلة الحرب المعروفة .

((**وخرج عليهم**)) ؛ وهذا الخروج وقد لبس اللأمة يعني أنه انتهى أمر الشورى وعزم عليه الصلاة والسلام على القتال والخروج إليهم .

((**وقد انثنى عزم بعض أولئك** – يعني عن الخروج – **فقالوا : يا رسول الله إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل**)) ؛ لما وجدوا النبي عليه الصلاة والسلام لبس اللأمة واستعد للخروج بناءً على المشاورة وإلحاح الفضلاء من الصحابة قالوا له : إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل .

((**فقال ﷺ : ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل**)) ؛ لِبْس اللأمة وهي الدرع دليل على أنه قد عزَم صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا يعتبر شروع وبدء في التوجه

للقتال ، فما ينبغي لنبي عزم على القتال وتهيأ وبدأ في الخطوات الأولى للتقدم للقتال أن ينصرف وينقض عزمه . والحديث علقه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتابه الصحيح ورواه الإمام أحمد من حديث جابر بطوله بسند حسن كما قال الحافظ في الفتح وله شاهد من حديث ابن عباس بلفظٍ أتم منه ، ورواه أيضا الحاكم والبيهقي في الدلائل ، وحسَّن إسناده الحافظ في فتح الباري .

قال : ((**وأُتي برجل من بني النجار فصلى عليه وذلك يوم الجمعة**)) ؛ الرجل هو مالك ابن عمرو ، كان توفي ﷺ في ذلك اليوم فصلى عليه ﷺ . وقوله : (من بني النجار) ، النجار هو لقب لرجلٍ اسمه تيم الله ابن ثعلبة ابن عمرو ابن الخزرج . وقيل إن هذا الرجل لُقِّب بهذا اللقب لأنه قتل أو ضرب رجلاً فنَجَره ، وقيل إنه ختن نفسه بالقَدُّوم فلذلك لُقب بالنجار ، وقيل غير ذلك .

((**واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم**)) .

قال رحمه الله :

[**وخرج إلى أحد في ألف ، فلما كان ببعض الطريق انخزل عبد الله بن أبي في نحو ثلاثمائة إلى المدينة ، فاتَّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنهما يوبخهم ويحضهم على الرجوع ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع . فلما أبوا عليه رجع عنهم وسبَّهم**] .

****

قال رحمه الله تعالى : ((**وخرج** – أي الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه– **إلى أحُد في ألف**)) ؛ أي ألف مقاتل ، وهذا بمقابل ثلاثة آلاف تجيشوا وتجمعوا من الكفار لمقاتلة النبي صلوات الله وسلامه عليه .

((**فلما كان ببعض الطريق انخزل عبد الله بن أبيّ في نحو من الثلاثمائة إلى المدينة**)) ؛ وهذا من الخذلان ؛ مضى معهم عبد الله بن أبيّ بعض الطريق مستعداً للنصرة وللملاقاة ثم في أثناء الطريق ينفرد بما يقارب الثلاثمائة ويرجع بهم إلى المدينة .

قال : ((**فاتَّبعهم عبد الله ابن عمرو ابن حرام والد جابر رضي الله عنهما يوبخهم ويحضهم على الرجوع**)) رجع عبد الله وراءهم يوبخهم على نكوصهم ورجوعهم وانخزالهم ، ويحثهم على الرجوع للقتال مع رسول الله ﷺ .

((**فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع**)) ؛ يعني ما هناك قتال " لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع " ، وهذه كلمة قالوها إعلاماً منهم بعدم استعدادهم للخوض مع المسلمين في هذه المعركة.

((**فلما أبوا عليه**)) وكان وبَّخهم ولامهم وأكثر عليهم القول ﷺ ((**رجع عنهم وسبَّهم**)) وجاء أنه قال : "أبعدكم الله ، إن الله ﷻ سيغني نبيه والمؤمنين عن نصرتكم " .

قال المؤلف ابن كثير رحمه الله تعالى في كتابه البداية والنهاية : " وهؤلاء القوم هم المرادون بقول الله تبارك وتعالى : {وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} [آل عمران: ١٦٧] يعني أنهم كاذبون في قولهم: لو نعلم قتالا لاتبعناكم، وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بيّن واضح لا خفاء فيه ولا شك فيه " . فالقتال بيّن وظاهر وواضح وهذه الجيوش التي تجيشت وهذه الجموع التي جاءت إلى ناحية المدينة ما جاؤوا إلا للمقاتلة .

قال رحمه الله :

[واستقل رسول الله ﷺ بمن بقي معه حتى نزل شعب أحد في عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره إلى أحد ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم ، فلما أصبح تعبأ ﷺ للقتال في أصحابه ، وكان فيهم خمسون فارساً ، واستعمل على الرماة ـ وكانوا خمسين ـ عبد الله بن جبير الأوسي ، وأمره وأصحابه ألَّا يتغيروا من مكانهم وأن يحفظوا ظهور المسلمين أن يؤتوا من قبلهم ، وظاهر ﷺ يومئذ بين درعين] .

****

قال رحمه الله تعالى : ((**واستقل رسول الله ﷺ بمن بقي معه**)) ؛ كانوا ألف وانخزل عبد الله بثلاثمائة فيكون المتبقي مع النبي ﷺ ما يقارب السبعمائة .

((**حتى نزل شعب أحد في عدوة الوادي إلى الجبل**)) ؛ عدوة الوادي : أي حافة الوادي وجانبه إلى جهة جبل أحد .

((**فجعل ظهره إلى أحد ، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم**)) ؛ يعني يرتب النبي ﷺ صفوف القتال ويهيئها ثم نبههم أن لا يبدأ أحد بالقتال إلا إذا جاء الأمر والإذن بذلك منه صلوات الله وسلامه عليه .

((**فلما أصبح تعبأ عليه الصلاة والسلام** – أي تهيأ وتجهز واستعد – **للقتال في أصحابه ، وكان فيهم خمسون فارساً ، واستعمل على الرماة . وكانوا خمسين . عبد الله ابن جبير الأوسي ، وأمره وأصحابه ألّا يتغيروا من مكانهم**)) ؛ يعني أمرهم بالجلوس على جبل عُرِف بجبل الرماة لحماية المسلمين من تلك الجهة ، وأمرهم أن لا يتغيروا من مكانهم وأن يحفظوا ظهور المسلمين أن يُؤتوا من قبَلِهم . وأكد عليهم عليه الصلاة والسلام مهما كان الأمر أن لا ينزلوا من هذا الموضع الذي عيَّنه لهم صلوات الله وسلامه عليه .

وجاء في الخبر في صحيح البخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لهم : ((إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ)) ، وهذه تعاليم واضحة تماماً بيَّنها ووضحها لهم صلوات الله وسلامه عليه ، أمرهم أن يحفظوا ظهور المسلمين أن يؤتوا من قبلهم وأن لا يتغيروا من أماكنهم .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : ((**وظاهَر ﷺ يومئذ بين درعين**)) ؛ وهذا دليل من جملة أدلة كثيرة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على اتخاذ الأسباب ، وأن اتخاذ الأسباب لا ينافي التوكل على الله ﷻ ، بل إن من تمام التوكل أن يفعل المسلم السبب ، فهذا إمام المتوكلين وسيد المتوكلين صلوات الله وسلامه عليه في معركة أحد ظاهَر بين درعين ولبس أيضاً المِغفر الذي يوضع على الرأس ، وهذا كله من باب اتخاذ الأسباب للوقاية من ضرب العدو أو نبل العدو أو نحو ذلك . فاتخاذ الأسباب لا ينافي التوكل على الله ﷻ بل هو من تمام التوكل وهذا صح

في عدة أحاديث منها حديث الزبير ابن العوام المخرجَّ في جامع الإمام الترمذي رحمه الله تعالى ويروى أيضاً عن غيره من أصحاب النبي ﷺ.

قال رحمه الله :

[وأعطى اللواء مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار ، وجعل على إحدى المجنَّبتين الزبير بن العوام ، وعلى المجنَّبة الأخرى المنذر بن عمرو ؛ المعنق ليموت] .

****

قال رحمه الله تعالى : ((**وأعطى ﷺ اللواء مصعب بن عمير ﷺ أخا بني عبد الدار**)) ؛ اللواء : علَم الجيش الذي في ضوءه يتقدم الناس ويتحركون في المعركة ويكون أمارة وعلامة واضحة للجيش .

((**وجعل على إحدى المجنَّبتين الزبير ابن العوام ، وعلى المجنبة الأخرى المنذر بن عمرو المعنِق ليموت**))؛ المراد بالمجنبتين : يمين الجيش ويساره ، فجعل على إحدى المجنبتين الزبير ابن العوام ، وعلى المجنبة الأخرى المنذر بن عمرو وهو ﷺ من الخزرج ، ويلقب بـ (المعنِق ليموت) ، والمراد بالمعنق أي المتقدم والمسرع ، يقال أعنق ليموت : يعني أسرع وتقدم ليموت شهيداً في سبيل الله تبارك وتعالى ، ولُقب ﷺ بهذا اللقب لسرعته في طلب الشهادة في سبيل الله .

والمنذر ابن عمرو الخزرجي الأنصاري ﷺ هو عُقبي بدْري ، ممن شهد بيعة العقبة وممن شهد بدراً وشهد أيضاً أحداً وجعله النبي ﷺ على مجنَّبة الجيش ، واستُشهد بعد غزوة أحد بوقت ليس بطويل ، بعد هذه الغزوة بأربعة أشهر في غزوة بئر معونة وهي في أوائل السنة الرابعة من الهجرة في شهر صفر ، وتأتي عند الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله تعالى :

[واستعرض الشباب يومئذ ، فأجاز بعضهم وردَّ آخرين ، فكان ممن أجاز : سمرة بن جندب ، ورافع بن خديج ، ولهما خمس عشرة سنة . وكان ممن رد يومئذ : أسامة بن زيد

بن حارثة ، وأسيد بن ظهير ، والبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر، وعرابة بن أوس ، وعمرو بن حزم . ثم أجازهم يوم الخندق].

****

قال رحمه الله تعالى : ((**واستعرض ﷺ الشباب يومئذ ، فأجاز بعضهم ورد آخرين**)) ؛ كان عليه الصلاة والسلام يستعرض عادةً في معاركه الشباب : أي يأتون عنده ويمرون من أمامه حتى ينظر من كان منهم يصلح أن يدخل معهم للقتال والجهاد يأذن له ، ومن يراه عليه الصلاة والسلام ليس كذلك لا يأذن له بذلك . وجميع هؤلاء الشباب يأتون عن رغبة صادقة ويبدون الاستعداد ، وبعضهم يقف أمام النبي عليه الصلاة والسلام ويتطاول يحاول أن يمد جسمه حتى يجيزه ؛ للرغبة القوية الصادقة في قلوب هؤلاء الشباب لأن يأذن لهم صلوات الله وسلامه عليه في الدخول في المعركة ، فكان عليه الصلاة والسلام يجيز البعض ويرد البعض .

((**فكان ممن أجاز سمرة ابن جندب ، ورافع ابن خديج ولهما خمس عشرة سنة**)) ؛ سمرة ابن جندب ﷺ فزاري ، ولما توفي والده جاءت أمه إلى المدينة وتزوجها رجل من الأنصار وتربى سمرة ابن جندب ﷺ في حجره . وقد جاء مع شباب الأنصار لما استعرضهم النبي عليه الصلاة والسلام واحداً واحدا باعتبار أنه تربي في حجر رجل من الأنصار وهو زوج أمه .

لما جاء دور رافع ابن خديج الأنصاري في استعراض النبي عليه الصلاة والسلام لشباب الأنصار ، أثنوا عليه خيراً في أنه ماهر في النبل ، وكان أيضا ﷺ حريصاً جداً ويتطاول أمام النبي عليه الصلاة والسلام عن رغبة قوية في أن يأذن له صلوات الله وسلامه عليه فأجازه صلوات الله وسلامه عليه ، فلما أجازه قال سمرة ابن جندب ﷺ لزوج أمه – من شدة حرصه ورغبته في أن يشارك في هذه المعركة– : " أجاز النبي ﷺ رافع وأنا أصرع رافع" ، يعني لو أتصارع أنا ورافع أنا أصرعه ، فبلغ النبي عليه الصلاة والسلام ذلك ، فطلبه وطلب رافع وقال تصارعا ، فصرعه سمرة ابن جندب فأجازه النبي ﷺ ، وهذا جاء في ترجمة سمرة ابن جندب في كتاب الإصابة للحافظ ابن حجر وفي غيره من كتب التراجم .

قال : ((**وكان ممن رد يومئذ أسامة ابن زيد ابن حارثة ، وأسيد ابن ظهير ، والبراء ابن عازب ، وزيد ابن أرقم ، وزيد ابن ثابت ، وعبد الله ابن عمر، وعرابة ابن أوس ، وعمرو**

ابن حزم . ثم أجازهم يوم الخندق)) فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يُجِزْ هؤلاء الشباب من أصحابه عليه الصلاة والسلام يوم أحد ، وأجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة . جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما والحديث في الصحيحين قال : ((عَرَضَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْقِتَالِ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِي ، وَعَرَضَنِي يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَجَازَنِي)) .

قال رحمه الله :

[وتعبأت قريش أيضاً وهم في ثلاثة آلاف كما ذكرنا ، فيهم مائتا فارس ، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل . وكان أول من برز من المشركين يومئذ أبو عامر الراهب ، واسمه عبد عمرو بن صيفي ، وكان رأس الأوس في الجاهلية وكان مترهباً ، فلما جاء الإسلام خُذل فلم يدخل فيه ، وجاهر رسول الله ﷺ بالعداوة ، فدعا عليه ﷺ فخرج من المدينة وذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله ﷺ ويحضهم على قتاله مع ما هم منطوون على رسول الله وأصحابه من الحنق ، ووعد المشركين أنه يستميل لهم قومه من الأوس يوم اللقاء حتى يرجعوا إليه ، فلما أقبل في عبدان أهل مكة والأحابيش تعرَّف إلى قومه فقالوا له : لا أنعم الله لك عيناً يا فاسق . فقال : لقد أصاب قومي بعدي شر ، ثم قاتل المسلمين قتالاً شديداً].

****

قال رحمه الله تعالى : ((**وتعبأت قريش أيضاً**)) أي : تجهزت واستعدت للقتال .

((**وهم في ثلاثة آلاف كما ذكرنا ، فيهم مائتا فارس**)) ؛ مائتا فارس في مقابل خمسين فارساً في المسلمين .

((**فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل**)) .

قال : ((**وكان أول من برز من المشركين يومئذ أبو عامر الراهب ، واسمه عبد عمرو ابن صيفي . وكان رأس الأوس في الجاهلية وكان مترهباً ، فلما جاء الإسلام خُذل فلم يدخل فيه ، وجاهر النبي ﷺ بالعداوة، فدعا عليه ﷺ فخرج من المدينة وذهب إلى قريش يؤلبهم** – أي يحضهم – **على مقاتلة النبي ﷺ ويحضهم على قتاله مع ما هم منطوون على**

رسول الله ﷺ وأصحابه من الحنق)) ؛ هم أصلاً في غاية الحنق والغيظ على النبي ﷺ وعلى أصحابه الكرام بعد غزوة بدر الكبرى ، فإضافة إلى ما هم عليه ذهب إليهم هذا الفاسق يؤلبهم ويحرضهم على مقاتلة النبي ﷺ .

((**ووعدهم أنه يستميل لهم قومه من الأوس يوم اللقاء حتى يرجعوا إليه**)) ؛ قال : إذا وصلتم إلى المدينة سأستميل قومي وهم الأوس ويناصرونكم ويكونون يداً واحدة معكم في مقاتلة محمد وأصحابه .

قال : ((**فلما أقبل في عُبدان أهل مكة**)) ؛ يقال عُبدان بضم العين ، وأيضاً يقال عِبدان بكسرها ؛ جمع عبد. وعبد يُجمع على صيغ عديدة منها هذه الصيغة عُبدان ، وعِبدان .

((**فلما أقبل في عُبدان أهل مكة والأحابيش**)) ؛ وعرفنا من هم الأحابيش قريباً في كلام ابن إسحاق وتوضيح ابن هشام له .

((**تعرّف إلى قومه** – أي الأوس – **فقالوا له : لا أنعم الله لك عيناً يا فاسق**)) ؛ وهو كان يطمع أن يستميلهم ليكونوا يداً مع المشركين في قتال النبي ﷺ ، بل إنه وعد المشركين بذلك ، فقالوا : لا أنعم الله لك عيناً يا فاسق . وروي أن الذي لقبه بالفاسق النبي ﷺ ، وكان من أشد الناس عداوة وكراهية وبغضاً للنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

((**فقال : لقد أصاب قومي بعدي شر**)) ؛ كان يتوقع أنهم ربما أنهم يطاوعونه وأنه يتمكن من استمالتهم ، فلما سمع منهم هذا الكلام قال : "لقد أصاب قومي بعدي شر" .

((**ثم قاتل المسلمين قتالاً شديداً**)) ؛ ذكر ابن كثير رحمه الله أن أبو عمرو الراهب دخل المعركة وكان أول من تقدَّم للقتال وقاتل قتالاً شديداً في بغض وكراهية للمسلمين وللنبي عليه الصلاة والسلام ، ونجا في تلك المعركة ورجع إلى مكة وهو لازال على بغضه وكراهيته للإسلام وللمسلمين وللنبي ﷺ ، فلما فُتِحت مكة ولَّى هارباً إلى الروم بالشام وبقي هناك كافراً إلى أن هلك ومات هناك .

في معركة أحد كان من ضمن المسلمين وممن أبلى في القتال مع المسلمين بلاءً حسناً ابنه حنظلة ابن أبي عامر ، وقُتِل شهيدا رضي الله عنه في هذه المعركة ، وجاء في بعض الروايات وذُكر هذا أيضاً في ترجمته في الإصابة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((رأيت الملائكة تغسله)) ، ولهذا يلقب بغسيل الملائكة ، ولما سُئل أهله عنه قالوا : خرج إلى المعركة جُنُباً ، لأنهم تجيشوا

واستعدوا ليلاً . فحنظلة هذا هو ابن هذا الفاسق أبي عمرو الراهب الذي كان من ألد الأعداء وأشد الخصوم وأول المتقدمين في معركة أحد لمقاتلة المسلمين والتحريض عليهم ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الروم:١٩] فحنظلة في تمام النصرة للإسلام والمسلمين والمناصرة للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، وفي المقابل والده من ألد الأعداء وأشد الخصوم وأول المتقدمين لمقاتلة المسلمين في هذه المعركة!!

قال رحمه الله :

[وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ : أمت أمِت ، وأبلى يومئذ أبو دجانة سماك بن خرشة ، وحمزة عم رسول الله ﷺ ، أسد الله وأسد رسوله – رضي الله عنه وأرضاه – ، وكذا علي بن أبي طالب ، وجماعة من الأنصار منهم : النضر بن أنس ، وسعد بن الربيع رضي الله عن جميعهم] .

****

قال : ((**وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ : أمِت أمِت**)) ؛ المراد بالشعار : العلامة الصوتية التي تكون بين أفراد المسلمين يعرفون بعضهم ويميّز بعضهم بعضاً بها ، بحيث إذا لقي شخصاً في موضع من المعركة يسأله عن هذه الكلمة ومباشرة يذكر هذا الشعار ، فإذا ذكره كفَّ عنه ، فكان شعار المسلمين في هذه المعركة «أمِت أمِت » .

قال رحمه الله تعالى : ((**وأبلى يومئذ أبو دجانة سِماك ابن خرَشة** ﷺ)) وأبو دجانة ﷺ كان كما ذُكر عنه رجلاً شجاعاً ، وكان أيضاً يتقدم في القتال باختيال ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((إِنَّهَا مِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ إِلا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ)) يعني إلا أنها في هذا الموضع المراد بها إغاظة الأعداء ، وكان النبي عليه الصلاة والسلام دفع إليه سيفه ، وكان قال عليه الصلاة والسلام : ((مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ ؟)) فبعض الصحابة تقدموا ، فأعطى النبي ﷺ سيفه لأبي دجانة ﷺ وكان ممن أبلى بلاء حسناً في قتال الكفار يوم أحد .

((**وأيضاً حمزة عمّ رسول الله ﷺ ، أسد الله وأسد رسوله رضي الله عنه وأرضاه**)) وهو ممن أُستشهد رضي الله عنه وأرضاه في هذه المعركة .

وكذلك ممن أبلى بلاء حسناً ((**علي بن أبي طالب وجماعة من الأنصار منهم : النضر ابن أنس ، وسعد ابن الربيع رضي الله عن جميعهم**)) ؛ فهذه بعض الأسماء الذين كان لهم بروز ظاهر وبلاء حسن في منازلة الكفار ومقاتلتهم في هذه المعركة .

قوله رحمه الله: " **منهم النضر ابن أنس** " هذا خطأ قد يكون من بعض النُسَّاخ ، والصواب "أنس ابن النضر " وهو عمّ الصحابي الجليل أنس ابن مالك ، وسيأتي ذكر اسمه على الصواب عند ابن كثير رحمه الله في قوله : " ومرّ أنس ابن النضر بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم فقال ما تنتظرون ؟ فقالوا قُتل رسول الله ﷺ ، فقال ما تصنعون في الحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل الناس فلقي سعد ابن معاذ فقال : يا سعد والله إني لأجد ريح الجنة من دون أحد ، فقاتل حتى قُتل رضي الله عنه ووُجِد به سبعون ضربة " وجاء في البخاري أنّ ما عرفه إلا أخته بشامة أو ببنانه وبه بضعٌ وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم ، وأخته صحابية جليلة وهي الرُّبَيّع بنت النضر ولها قصة ثابتة في الصحيح تدل على فضل هذا الصحابي أنس ابن النضر ﷺ وهي: أنّها لطمت إنساناً فتحاكموا إلى النبي عليه الصلاة والسلام فطُلِب منهم العفو عن اللطمة فأبوا ، فطُلب منهم الأرْش فأبوا ، قالوا إلا القصاص . فقال أخوها أنس : "والله لا يُكسر سن الرُّبيع " فرضوا بالأرش ، فقال عليه الصلاة والسلام: ((إن من الناس من لو أقسم على الله لأبره ، وإن منهم أنس ابن النضر)) وأنس ابن النضر ﷺ استشهد في غزوة أحد بعد أن أبلى فيها بلاءً عظيما .

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهمّ صلّ وسلّم على عبدك ورسولك نبيّنا محمد و آله وصحبه

..*